مع امتداد الطريق

د. عبد الكريم الأشتر ❁

- ١ -

لبث الفتى، وهو ينتظر نتيجة قَبوله في معهد إعداد المعلمين للتعليم الثانوي - وقد سمَّوه يومذاك «المعهد العالي للمعلمين» - يعمل معلماً وكيلاً في إحدى مدارس حلب الابتدائية، تجاور بيوتاً تسكنها طائفة من يهود المدينة. وكانت أحداث القضية الفلسطينية، بعد إعلان «الدولة» والإخفاق في الحرب العربية التي صاحبتها، تستولي على عقول الناس. وكان الفتى سافر إلى دمشق وقابل اللجنة التي تتولى فحص المتقدمين إلى «المعهد»،

❁ أستاذ جامعي وأديب سوري.

العمل الفني: الفنان جورج عشي.

مع طلب الانتساب إلى كلية الآداب التي لم يمضِ على إنشائها، في جامعة دمشق، أكثر من عامين.

وليس ينسى الفتى فرحته بالنبأ الذي حمله إليه أحد رفاقه، مساء أحد الأيام، عن رؤيته اسمه بين أسماء المقبولين في «المعهد»! خرج من المدرسة، تلك الساعة، وسار في الشوارع المحيطة بها، وفرحته تخالطها غصص النظر إلى البيوت التي يسكنها اليهود، من حولها، وقلق رحيله إلى عالَمٍ جديد.

وكان أخوه سبقه في السفر إلى دمشق، وسكن، مع زميلٍ له، غرفةً في شقة هادئة مكونة من ثلاث غرف، تشغل صاحبتها واحدة منها، ويشغل الثانية الدكتور عبد الكريم اليافي العائد حديثاً من فرنسة. فانضمَّ الفتى مع أخيه، إلى جوار الأستاذ اليافي، وكانت تلك الأيام هي المقدمةَ التي حاكت الأقدار خيوطها، لصلة الفتى الغنية به، من بعد.

وكانت الجامعة، على اختلاف كلياتها وأقسامها، شغلت، بعد التحرر من سلطة الانتداب، ثُكنة عسكرية كبيرة معروفة، في حيّ البرامكة، اتسعت لمدرجاتها وهيئاتها الإدارية. وانتقل إلى العمل فيها جملة من الأساتذة، كان بعضهم، لقلة المختصين يومذاك، يعمل في المدارس الثانوية. ووجد بعضهم، ممن كان أُوفد للدراسة في الغرب، الباب مفتوحاً إلى أقسام الدراسات المختلفة فيها. وكانت كلية الآداب الحديثة أنشئت فيها وفق البرنامج الذي رسمه ساطع الحصري، المستشار في وزارة التربية يومذاك، وجمع فيه، في وقتٍ واحد، بين الدراسة في كليتي الآداب والعلوم وبين الدراسة في «المعهد»، لتخريج المدرِّسين المؤهَّلين للعمل في الثانويات.

لم يكن عدد الطلاب كبيراً في المدرَّجات، في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي (١٩٤٨ - ١٩٤٩)، يكاد عددهم لا يتجاوز الأربعين. وكانت الدراسة تتَّبع نظام «الشهادات» وإن كانت تضم، في كل سنة، مواد لغوية وأدبية تتدرج في مستوياتها، على السنوات الأربع.

دخل الفتى المدرَّج، وهو يتطلع في وجوه زملائه وزميلاته، يرجو أن يرى فيهم فتاته التي عرفها في السنة الماضية، في زيارته بيتها. وقد رآها تدير وجهها إلى إحدى زميلاتها وتتحدث معها، فحاول أن ينصرف عنها إلى المحاضرة التي يلقيها أستاذ في تاريخ العرب والإسلام، يعود فيها إلى مجموعة من الأوراق تحمل أهم ما يريد أن يستخلصه من الدرس. كان طويلاً عريضاً

يروع شكله، ولكنه يوحي لناظره بالطيبة.

أخذ الفتى يرقبه. ثم عاد فانصرف، من جديد، إلى مراقبة الفتاة وقد انحدر عن رأسها، من الخلف، شعر أسود غزير، انزاح عنه الشال الذي يمسكه، فدار من حول العنق. وكانت، حين تلتفت، تتكشف أطراف منه، على نحوٍ لا يعرف اليوم كيف كان أثره فيه!

ثم حاول أن يعود إلى الدرس، فوصل إليه صوت الأستاذ واهناً متقطعاً لم يكد يعي منه شيئاً. ويذكر أنه زار هذا الأستاذ، من بعد، في بيته، فرآه ينصرف إليه بحنوٍّ بالغ يدفع عنه شعوره بالحرَج! لقد أبقى في نفسه، على مدار العام، أثراً طيباً يتملاه إلى اليوم. والذي بقي منه، في نفس الفتى، معنى من معاني الالتزام بالموضوعية، في الحكم على الأحداث، وبالمنهج العلمي في استقرائها والرجوع إليها.

٢.

عرف، في سنته الأولى، من أساتذة الكلية و«المعهد العالي للمعلمين»، ممن رافقهم في السنوات التالية: الأستاذ سعيد الأفغاني، والدكتور أمجد الطرابلسي. وعرف معهما: الأساتذة عز الدين التنوخي، وإبراهيم الكيلاني، وحكمة هاشم، وعبد الهادي هاشم، إلى جانب الشيخ محمد بهجة البيطار، ومحمد المبارك، وخلدون الكناني، وعبد الكريم اليافي، وجميل صليبا، وعادل العوَّا، وجودت الركابي، وشفيق جبري (عميد الكلية) وأساتذة آخرين.

كان سعيد الأفغاني، أستاذ مادة النحو، لا يحمل اللقب العلمي الذي يحمله غيره من أساتذة الكلية. ولكنه كان، فيما يرى الفتى اليوم، قريباً من مناهج التعليم الجامعي. رآه الفتى يجمع مادة كل سنةٍ فيقسمها بينه وبين طلابه: يتولى هو تدريس أكثرها حاجة إلى الشرح، ويدع للطلاب أن يتولَّوا، من بعده، إلقاء ما يتبقى منها على زملائهم، ويقعد هو يتولى الاستماع إليهم، ويستقبل ما يرِد عليه من مداخلاتهم وردودهم، ويناقشهم فيها.

وكان، إلى جانب هذا، يُحسن تقويم الطالب، ويحفظ قدْر العلم، ويقف عند حدود ما يعرف منه. لا يستحيي، أحياناً، أن يقول لِمن يسأله:

– انتظر، سأعود إلى المسألة من بعد!

كان ينتسب إلى ثقافة محافظة، يبدو شديد الغيرة عليها. ولعل اختصاصه أعانه على التمسك بها. فكان هذا من أسباب الخلاف بينه وبين كثير من الناس.

على أنه يبدو للفتى مستلطَفاً في بعض

الأحيـان، كأنمـا يستشعر حاجة الطلبـة إلى الترويح. ويـراه ربما أدركتْه الدعابة الخفيفة، وهو على المنـبر، فصاغها، علـى طريقته، صياغة جهْمة لا تكاد تثير الانتباه. سمعه الفتى يومـاً ينادي الطالب الذي كلفه بكتابـة بحثٍ عن (ابن جنّي)، ليلقيـه على زملائه، فقال له:

– قم يا «جنّي» فألقِ بحثك!

لم يـزد عليهـا شيئـاً، كما لو كان ناداه باسمه، ثـم لم يتعدَّ هذا الحدّ!

قصير القامـة، بادي النشاط، يتنقَّل في ممرات الجامعة كالظل، شديـد الثقة بقدراتـه. رآه الفتى يومـاً، وهو على المنبر في قاعة الدرس، وقد فُتح عليـه الباب ودخل منـه رئيس مجلس الوزراء يومـذاك (الدكتور محسن البرازي)، ومعـه رئيس الجامعـة، يريـد أن يستطلع أساليـب الدرس في كلياتهـا. فاستهـوى الفتـى أن يستطلع، في هـذا الموقف، حال الأستاذ الذي لا يحمل الشهادة التي يحملها الآخـرون. رآه لم يكد يحـرك ساكناً، وتابع درسه كأنه لا يراهما، إلا أنه ضمَّ إليه سترته وعقـد أزرارها. ثم إنـه لم ينزل عن المنبر، ولم يخاطب الزائرَيْـن، ولم يتوجه إليهما إلا بالتحية العابرة الأولى!

وكان، كمـا ينبغي لمثلـه أن يكون: حادَّ المزاج، شديد الصلابة، قوي العزيمة، حديد اللسان. لعلـه كان يؤذيه أن يستشعر ضعف موقفه، بين زملائه وأمام طلبته، في الحرمان من لقب الشهادة، فكان ربما قال لتلميذه إذا أخطأ، على مسمع من الطلبة:

– «كأنك يا ابني درستَ في السوربون»!

يعرّض ببعض زملائه الذيـن قدموا بشهاداتهم من فرنسـة! وقد حكى الدكتور

إبراهيم الكيلاني للفتى، بعدها، فقال: إن الأفغاني، أيامها، لم ينجُ من تعنيف بعض زملائه له، حين بلغتْهم كلمته!

وبلغ أن يهدي إليه الدكتور الكيلاني، خرِّيج فرنسة، كتاباً من كتبه، فأحب أن يجزي الهدية، فحمل كتاباً من كتبه في النحو، واقترب منه يهمس في أذنه:

- «هل تحب أن تقرأ كتاباً في النخو» (بالخاء)؟

كما لو كان يتوجه بالسؤال إلى أحد «الخواجات»!

كان، في حدود تكوينه الفكري، كما بدا للفتى، يَعدُّ نفسه صاحب رسالة يحامي عنها. يفهم موقع التراث، من حياة أمته، فهماً عميقاً يجعله يقف منه موقف القداسة. إذ يكوّن، في رأيه، شخصية الأمة ويحرس هويتها الفكرية والوجدانية. فمن ثَمَّ يخاف، باسم التحديث أو التجديد، أن تُحرَّك الأسس التي يقوم عليها.

ثم إنه لم يُهيأ له أن يلمّ بالثقافة اللغوية الحديثة، ولعل هذا لم يهيأ لجيله كله، فبقي يدرج، في تعليم النحو، عند الحدود الموروثة.

ساءت علاقة الفتى به أمداً. وربما زاد الأمر سوءاً سوء علاقته بأخيه زمناً. ثم استقامت الحال، وذاق الفتى من برّه واستقامته وتواضعه ومباسطته ما بات يذكره إلى اليوم.

وقرأ الفتى وزملاؤه، مع الدكتور أمجد الطرابلسي، أستاذ الأدب والنقد، على مدار الأعوام الأربعة، نصوصاً من شعر الجاهلية، ووقفوا معه عند شعر زهير بن أبي سلمى وقفة طويلة. وقرؤوا أيضاً نصوصاً من كتاب (الكامل) للمبرِّد. ورجعوا إلى نصوص مختارة من نقد المعري في (رسالة الغفران). وطافوا بالنقاد العرب القدامى، ووقفوا على القضايا التي أثاروها في كتبهم.

عرف الفتى أن الدكتور الطرابلسي بدأ حياته يقول الشعر، قبل أن ينقطع إلى الدرس والبحث. وكان يقرأ كتبه وكتب الأستاذ الأفغاني، فيجد لغة الثاني أغنى إحساساً وأقوى نفوذاً وأكثر ليناً في الوصول إلى مراميه، فيعجب لهذه المفارقة، وينصرف إلى درس أسبابها، فما يجد آخر الأمر غير الرجوع بها إلى التكوين.

كان، فيما بدا للفتى، يعاني، في حياته، من بعض العثرات، ثم ما يجد سبيلاً إلى حلها. فيجعله التسليم بما هو فيه حادَّ المزاج، صعباً أحياناً في مواقفه من الآخر.

وكان يراه، من جهة أخرى، متين التكوين، منفتحاً على ثقافة العصر وقيَمه. أفاد من دراسته النقدية، ما جعله يميل إلى الشمولية

في الأحكام، وإلى سعة النظرة الأفقية في مسائلها وجزئياتها. ولكنه يراه، مع هذا، لا يتعدَّاها، أحياناً كثيرة، إلى البعد الثالث، يعني الذهاب في العمق! وقد يصلح، في رأي الفتى، أن يُتخَذ، من بعض أحكامه النقدية، مثال على ما يذهب إليه.

على أنه يراه، آخر الأمر، فتح، أمام الطلبة، أبواباً في الدرس أفادوا منها في قراءة تراثهم الأدبي والنقدي، على نحوٍ مكَّنهم من الرجوع إليه والإفادة منه.

وتبقى في نفس الفتى، من هذين الأستاذين اللذين انفردا بدرس أهم المواد في برامج الكلية، بشهاداتها الأربع، بقيةٌ لا يستطيع أن يكتمها. فقد كانا، في جملة مواقفهما، من الناحية التربوية، بعيدين عن الطلبة إلى حدود إحساسهم، أحياناً، بالانقطاع عنهما. وكان يخطر للفتى، في الساعات التي يتولى الدرس فيها أساتذة آخرون، مثل الدكتور إبراهيم الكيلاني أو الأستاذ عز الدين التنوخي، أو الشيخ البيطار، أو الدكتور اليافي، أن يجمع بين ما كان يحسه في الساعات التي يجلسون فيها على منبر الدرس، والساعات التي يجلس فيها إليهما، فوجد نفسه موزعاً بين إحساسين متغايرين!

أما الدكتور الكيلاني فكان مثلاً في لين الجانب وأُنْس المعاملة، يباسط طلابه ويداعبهم، وينقل إليهم صوراً من ذكرياته وتجاربه، وهو يقرأ النصوص ويستخلص معانيها ودلالاتها التاريخية والإنسانية. وكان يقرؤها في ضوء حقائق العلوم الإنسانية، ويفيد منها في فهم النفوس، ويصل منها إلى مواطن كان الفتى يجدها، على غرابتها، بالغة العمق. وقد امتدت صلته به، من بعد، حتى صار يجلس إليه، مع بعض الرفاق، ساعاتٍ طويلة.

وأمضى الفتى وزملاؤه، مع الأستاذ شفيق جبري، عميد الكلية، أيضاً ساعات غنية، في الاستماع إلى محاضراته عن شوقي، وما وقع في صحبته له، في دمشق وزحلة، من طُرَف المواقف وأسرارها، وصل فيها إلى أن يقول، في رده على بعض المداخلات:

– نعم، لقد كان شوقي يشرب «حتى تُرعَش يداه»!

ومع الأستاذ محمد المبارك، في جمعه بين اللغة العربية وخصائص تكوين الأمَّة، من الناحيتين الفكرية والروحية. ومع جميل صليبا في جمال صياغاته، عند تناوله بعض القضايا التربوية والنفسية. ومع الشيخ البيطار في عمق تقواه ونفوذ تحليله لبعض الآيات في نصوص القرآن الكريم. ومع عبد الكريم اليافي في سعة ثقافته واختلاف

ميادينهـا وامتدادها إلى الآفـاق الصوفية العذبة.

٣.

وغَنِـم الفتى، في هـذه المرحلة، رفيقين طيبين مـن أسرتين معروفتـين في دمشق، تعودان، في أصولهما، إلى القطر الجزائري. وكان أبواهما من أعضاء مجمع اللغة العربية الـذي يرأسه محمد كرد علـي، هما الشيخ محمد بهجـة البيطار والشيـخ عبد القادر المبارك. فتألفت مـن الثلاثة حلقة متآلفة، حلا لبعض زملائهم أن يطلق على أعضائها لقب «الفرسان الثلاثة».

وقد مضـت أعوام الدراسـة الجامعية الأربعة وهم على ما بدؤوها من الألفة. وكان الفتى يُمضي بعض ليـالي الامتحانات، في بيت زميله عاصم ابن الشيخ البيطار. ويذكر ليلة منها وقعت في شهر رمضان، شهد فيها من ورع الشيخ البيطار، وقت السحَر، وخوفه من فوات الوقـت على لحظة الإمساك عن الطعام، ما أصبح الفتـى يذكره، إلى اليوم، عند كل سحَر من ليالي رمضان. وكان يغفو علـى خرير الماء المنبعث من البركة الصغيرة «الفسقية» في أرض الدار، ويُفيق على دعوة الشيخ إلى طعام الإفطار!

مع هذين الصديقين، غَنِم صديقاً آخر، كان صديقاً لأخيه من قبل، وهو أحمد راتب النفاخ. وكان لـه، في حياة الفتى، أثر كبير. كتب فيه ما لم يكتبـه في فقْد أخيه. رآه من أصـدق مَن عـرف من الطلبـة، في سنواته الجامعيـة الأربـع، ومن أعلمهـم بالعربية وآدابهـا، وأقربهم إلى الإنسـان الحق. نعِمَ الفتى، في صحبته، بمحبته الصافية، وعانى أيضاً مـن غضبه، في موقـف أو موقفين. ولكنه لم يكفَّ عن محبته وتقديره أبداً.

وعرف، من رفاق المرحلة: شاعر الجامعة المرح أيامها، محمد الحريري الذي كان ينشد الشعر في بعض المناسبات القومية المواتية، ومدّحـة عكّاش الذي أنشـأ، من بعد، مجلة «الثقافة» الدمشقية، وميخائيل أديب صاحب الانتمـاء الصـادق إلى القوميين السوريين. وقد كانـت له، مع الأخير، جـولات حامية ذات صبغة فكريـة وأيديولوجية سياسية لم تمنع من زيارته، مع صديقه عاصم البيطار، في قريتـه الفريدة «مرمريتـا». وقد شهدا فيها، من كرم الضيافة وجمال الصحبة، ما امتد أثره في حياة الفتى، إلى مدىً طويل.

وعرف، من زميلات المرحلة أيضاً، نبيلة الـرزاز التي تقدمتْ في الدرس، ووفتْ به حتى كانت من أحسن زميلاتها وأقربهنَّ من التفوق فيه، وفي نتاجها الأدبي، من بعد.

٤.

لم يكـن الفتـى يخلد، وهـو يتابع درسه

في الجامعة، إلى الراحة. فقد درَّس النحو والأدب في بعض معاهد دمشق الخاصة، إذ لم يكن المرتَّب الذي يدفعه له «معهد إعداد المعلمين» يكفيه. وكان عمله فيها التجربةَ الأولى لعمله في الإعداديات والثانويات الرسمية، بعد تخرجه في الجامعة. وقد أفاد من خطئه وصوابه فيها، إذ ازداد يقيناً بتكامل المعرفة والتدرج في تحصيلها، وتفرُّد هذا الأسلوب في السعي إلى النجاح فيه.

ثم إن الفتى شارك زملاءه وبعض أساتذته في الرحلات الجامعية، فزاروا مواطن كثيرة عززت من روابط الألفة بينهم، وقرَّبتْ بين الأساتذة وطلبتهم، وأبقت في ذاكرة الفتى صوراً كثيرة يستعيدها ويأنس بها. وكان لبعض زميلاته دور فيها غابت عنه زميلته الفتاة التي عرفها. إذ انقطعت عن الجامعة، في نهاية العام الجامعي الأول، فما عاد يراها إلا في مواقف سريعة عند باب المدرَّج.

وشارك، في العام الجامعي الثاني زملاءه، في رحلة قاموا بها إلى السويداء في جبل العرب، وانضمَّ إليها بعض الأساتذة: الدكتور اليافي، والدكتور الطرابلسي، والأستاذ التنوخي. وهي زيارته الأولى إليها. فكان، وهو يسير في طرقها، يرى التاريخ يسير معه على الجانبين، متمثلاً في بقايا الأعمدة والجدران الرومانية والبيوت والمدرَّجات والحمّامات، فيعمق إحساسه بمكانة وطنه التاريخية، ويعلو اعتزازه بها. وقد بلغه، من بعد، أن أستاذه التنوخي يعود بأصوله إلى الجبل وساكنيه.

وفي صيف العام الأول (١٩٤٩) نُظِّمت رحلة جامعية إلى تركيّة، في عهد (المشير حسني الزعيم)، وتحسُّن العلاقات السورية التركية، اشترك فيها الأستاذ الأفغاني إلى جانب الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ عز الدين التنوخي، وجمعٌ من طلبة الكلية، وكانت الزيارة من بواكير الصلة التي قامت بين الطلبة الجامعيين في سورية والطلبة الأتراك. وكان عز الدين التنوخي خير من يتحدث بلسانهم، في جلسات الالتقاء، إذ كان يجيد التركيّة. وتحفل ذاكرته بأحداث نفيه إلى العراق، في أواخر أيام الدولة العثمانية. وقد سمع الطلبة من زملائهم الأتراك ما جعلهم يسترجعون ذكرى تحالف الشريف حسين مع الحلفاء ضد السلطة العثمانية، أواخر الحرب العالمية الأولى، ووجدوهم لا ينسَون هذا التحالف، ويقرب أن يعدوه ضرباً من الخيانة.

وقد قرَّبت الرحلة بين الطلبة وبين أساتذتهم الثلاثة. يذكر الفتى أنهم أخذوا يتبادلون الأحاديث وهم على ظهر المركب،

عائدون من زيارتهم لجزيرة (بيوكْ قضا) طافوا خلالها بعض أنحائها. وكان بين الطلبة عاصم ابن الشيخ البيطار، فأخذ الأستاذ التنوخي يذكر أباه ويثني عليه، وكان من أقرب أصدقائه إليه. وأدركتْه نزعته إلى الشعر، فالتفت إلى الطلبة المتحلِّقين من حوله، وصاح فيهم:

- أجيزوا... «الشيخُ بهجةُ زينة الأشياخِ»

فأخذ الطلبة ينظر بعضهم في وجوه بعض، ينتظر كلٌ منهم، لبعد القافية، أن يجيزه زميله. فلما بدا عجزهم، صاح الأستاذ التنوخي يُكمل صدر البيت:

.....

«فإذا تؤاخي مثلَ بهجةَ آخِ»

كان الفتى يستعيد، أحياناً كثيرة، مع صديقه عاصم ذكريات هذه الجلسة على ظهر المركب العائد بهم من الجزيرة. وظلتْ هذه الذكرى تعاوده حين أُتيحت له زيارتها، مرة أخرى، بعد عشرات السنين!

وفي نهاية العام الجامعي الثاني (١٩٥٠) استأجر الفتى، مع صديقه عاصم، بيتاً في (مضايا) من قرى الاصطياف المطلة على سهل الزبداني، وأمضيا فيه عطلة الصيف، واستقبلا مَن كان يزورهما من الزملاء والأصحاب.

وكان يسير، في مساء كل يوم، إلى مقهى (بُقّين)، فيطل منه على السهل الممتدّ. وقد يمضي قسطاً من الليل في المقهى، بعد أن يخلو من زوّاره، ينعُم بالهدوء والسكينة من حوله. وقد يختار أن يقف على حوافيه يصغي إلى الهدير الناعم المتصاعد من أحد الطواحين، في أسفل الجبل، تجلوه السكينة وترحل به في غير انقطاع، فيستسلم الفتى له كأنما ينصهر فيه. وتتوحّد الأضواء البعيدة في العين وتقرُب السماء منها، فينداح في نفس الفتى شعور حار بوحدة الأشياء من حوله.

وقد سأل الفتى يوماً صديقه عاصماً أن يدعو أباه الشيخ ليقضي معهما، في (مضايا) يوماً أو يومين. فلبّى الشيخ الدعوة، وأقبل يحمل معه كتبه ودفاتره، فأُفردتْ له غرفة صغيرة يُمضي فيها ليله.

وفي ساعةٍ لا ينساها الفتى مرّ يستطلع حال الشيخ، بعد أن دخل يَقيلُ في غرفته، فوجده، وقد غلبه التعب، فاستلقى على بساط الغرفة، متوسِّداً عدداً من كتبه التي حملها معه، إذ كان يعمل، قبل أن يغلبه النعاس، في كتابٍ يحققه في النحو..... صورةٌ بعثتْ في نفس الفتى، على الفور، ذكرى بعض علماء الإسلام، ظل يستذكرها إلى اليوم الذي يكتب فيه هذه الكلمات.

. ٥ .

وآخــر ما يذكــره، وهــو في طريقه إلى الخروج من الجامعــة، في مساء أحد أيامه الأخيرة فيها (١٩٥٢) وقد أقاموا، في مدخل بابهــا الكبير نصبــاً خشبيــاً هُيِّئ لحضور رئيســ الجمهورية يومــذاك (العقيد أديب الشيشكلــي) ليسلِّم بيده شهــادات التخرج لطلبــة كلية الحقوق. حتــى إذا نودي باسم أحدهم، رفض الطالب أن يمدَّ يده فيصافح يد «الرئيس» الممتدة ويتسلَّم شهادة التخرج منها، قائلاً:

- أرفضــ أن أتسلّمها مــن يدٍ لا تمثل حرية الوطن ولا سلامة الأحكام فيه.

وقد أحدث موقــف الطالب وتصريحه هرَجاً حــاول منظمو الحفــل أن يطمسوه! وكانت هذه الصورة آخر ما حمل الفتى معه من ذكريات المرحلة الجامعية.

فأما الــذي أفاده، من جانــب الدرس، فمجموعٌ كله في الالتفات إلى تحسين منهجه فيه، وتقصِّي الحَيطــة في أحكامه، بعد أن تكتمل عناصرهــا ومصادرها، وينفسح أفق التفكير في غاياتها وحقائقها الحية وصلتها بالعصر.

على أن الفتى كان يرى بعض مواقفه من الدرس الجامعي، والتصريح برأيه في بعض قضاياه لم تكن مرضيــة. وقد بانَ أثرها في وجه مَن يستمع إليه، وإن ابتسم له ابتسامةً مغتصبــة. فقــرر أن يعيــد النظــر فيها. وانتهــى، بينه وبين نفســه، إلى الاقتناع بأن بعض السكوت عن الحق لابد منه في بعض الأحيان، وهو ما ازداد اقتناعاً بالحاجة إليه من بعد، وإن كانت الشكوك تساوره فيه إلى اليوم.